307



جلالة الملك يوجه خطاباً الى الأمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه

شعبي العزيز :

قررت أن أخاطبك اليوم، وأفتح بهذا الخطاب المباشر سلسلة من المحادثات الصريحة بيني وبينك حتى يمكنك، أيها الشعب العزيز، أن تراقب بكيفية مباشرة وبدون زيادة أو نقصان، نشاط الحكومة والأعمال التي تقوم بها تحت مسؤوليتي، ولكن أود قبل كل شيء أيها الشعب العزيز، أن أشكرك من صميم الفؤاد على التعضيد الذي عضدتني في هذه الخطة التي سلكتها، أشكرك على تعلقك بي وأكثر من هذا كله، أشكرك على الثقة الغالية التي أوليتني إياها والتي أعتقد شخصيا أنها ستكون لي أكبر مشجع، بل أكبر سلاح يمكنني أن أتسلح به لخدمتك وإسعادك. إنك تعلم — أيها الشعب العزيز — المشاكل التي يوجد أمامها المغرب، مشاكل شتى وجمة، مشاكل متنوعة وعويصة.

وأنت تعلم أيها الشعب العزيز أننا خرجنا من معركة الاستقلال بعد أن خضناها سنوات وسنوات، خرجنا منها مشتتي الصفوف متضاربي الآراء والوحدة بين العاملين. وإن الذي يلزمهم أن يعلموه هو أنه لم تكن وحدة كما أردناها، ولكنني مؤمن، وكلي أمل، أن جميع القوات الحية في البلاد كانت منظمة أم غير منظمة، وجميع الهيآت كانت سياسية أم نقابية، عندي اليقين أنها ستفهم وتتفهم الطريق التي سلكناها، وأن غيرتها ووطنيتها ستجعلها تشارك في هذا العمل البناء مشاركة جميع المواطنين، مشاركة ذوي النيات الحسنة، مشاركة التعضيد، لأن أي حكم كيفما كان، لا يمكن أن ينجح ويأتي بالثمرة المرجوة، إلا إذا كان مساندا في الشارع والمعامل، مساندا في المزارع، وأن الثقة التي أوليتنيها ستجعلك تعضدني كامل التعضيد في المكتب، في المتجر، في المصنع، في المزرعة.

منذ عشرة أيام، قلت في خطابي الذي وجهته إليك أنه أمام الظروف التي يجتازها المغرب قررت أن أستعمل حقي الدستوري وآخذ الأمر بيدي، وحينما إتخذت ذلك القرار، قررت كذلك أن لا أخفي عليك أيها الشعب العزيز أية خطوة من خطواتي، وأي عمل من أعمالي وإنني سأجد فيك المشجع الواعي الذي سيتفهم الخطوات والأعمال.

نعم ؛ إن المشاكل التي يجب حلها لم تعد كمشاكل القرون الوسطى التي كانت تحل بين عشية وضحاها، فالبرامج التي ننوي إنجازها سوف تتطلب تخطيطات وأعمالا طويلة المدى، ولكن رغم هذا كله، يسرني، أيها الشعب الوفي، أن أقول لك إنه خلال الثلاثة أشهر المقبلة سوف ترى من الأعمال والمنجزات ما يسرك، وما سيكون من شأنه أن يقلب الأوضاع الاقتصادية وبالأخص الأوضاع في كل بيت بيت رأسا على عقب، وبعبارة أوضح، كما قلت في خطابي، لم نكن ننصف الذين بذلوا التضحيات ولم تكن المكافآت في مستوى هذه التضحيات، فكن على يقين من أنني سأحاول أن أطبق هذه الحكمة وهذا القرار، وهو أن أعطي لكل ذي حق حقه، حتى يمكن لجميع المغاربة أن يتمتعوا بثمرات الاستقلال التي جنوها.

فأما الانحلال الذي تحدثنا عنه في الأجهزة الحكومية فقد قررنا أن نعطي المثال بأنفسنا في معالجته، وأن نقوم بتفتيشات دورية في بعض الوزارات والمصالح المركزية، وأنا إذ أزف إليك — أيها الشعب — أن الموظفين الذين يتقاضون رواتبهم من مالك، ومن مجهوداتك يكونون ثروتهم الخاصة، أزف إليك أيضا أنهم بعد 24 ساعة قد غيروا سلوكهم، وأتوجه كذلك لأولئك الموظفين الذين بلغني عنهم اليوم إنه في الوقت الذي كانت العادة فيه أن تكون العربات العمومية فارغة في 8 والربع صباحاً أصبحت اليوم مملوءة، لأن كل موظف يحرص على أن يكون في مكتبه في الثامنة والنصف، فأقول لهم إن هذا إن دل على شيء، فإنما يدل على أن التربة المغربية ولله الحمد، تربة صالحة، لا ينقصها إلا من يذكي فيها الشعور وينبه وعيها، وعندي اليقين بأن مثل أولئك الذين كنا نتذمر منهم وهم الموظفون سيتحولون إلى معينين حقيقيين مخلصين متواضعين لهذا النظام القائم، وهذا التطور الذي أدخلناه وهو طور الانجاز.

كما تعلم — أيها الشعب الوفي — إن بلادك تجد نفسها كل سنة أمام مشكل دراسي، حيث إن النسل يتزايد عندنا في المغرب بمعدل 350 ألف نسمة في السنة، وعندما أخذت زمام الأمر منذ عشرة أيام، بلغني أن المدارس لن تستوعب لـ 350 ألف تلميذ الذين هم في سن الدراسة، وليس لنا حل ثان إلا أن نعيد تلك العملية التي تعرفها، وهي عملية المدرسة، ولكن الناحية المالية كانت تعترض سبيلها، على أن تلك العملية تتطلب تقريبا مليارين من الفرنكات، الشيء الذي يجعلها تنجز في الحين وفي ظرف شهرين، وقد أخذنا هذا المبلغ من عدة وزارات، فقد كان مقررا في التصميم أن يبنى سجن في الرباط خصص له اعتماد قدره : 300 مليون فعوضا عن بناء السجن قررنا أن نبني المدارس بذلك الاعتماد، وأحسن وقاية من السجون هي التربية والتهذيب، وأخذنا كذلك 300 مليون أخرى من ميزانية تسيير البرلمان نظرا لكون هذا الجهاز قد تعطل عن العمل سواء من ناحية التجهيز أم من ناحية أداء مرتبات موظفيه.

وأخذنا من وزارة الداخلية أيضا قدرا مهما يقدر بـ 300 مليون، وهكذا أخذنا من عدة وزارات حتى تمكنا من جمع مليار و800 مليون، الشيء الذي سوف يمكننا من بناء المدارس وسكنى المعلمين في ظرف الثلاثة أشهر المقبلة، حتى يتمكن جميع أبنائنا الذين يبلغ عددهم 350 ألف هذا العام من الدخول إلى المدرسة.

نعم ؛ ليس هذا هو الحل النهائي لأن مشكلة بناء المدارس ستوضع أمامنا كل سنة، ولأن الميزانية التي نصرفها على التعليم ميزانية باهظة ، فالمشكل ليس هو هذا، بل المشكل هو هل إن هذا المال الذي هو مالك ويتكون من عرق جبينك سيصرف في محله أم لا ؟ هل نكون الجيل الصالح المصلح أم إنما نكون أناسا مثقفين سيصبحون غدا في زمرة العاطلين، لن يجدوا العمل لا في المعمل ولا في المكتب ولا في ناحية نشاطهم الثقافي ؟ هذا مشكل مراجعة العطلة الصيفية، وهو مشكل مراجعة الاطارات المغربية حتى تكون الملايير التي تقدر بالعشرات والتي نصرفها على التعليم مطابقة لما ننتظره من جيلنا ومن شبابنا، لأنه لا فائدة في شاب إذا كان مثقفا وكان عاطلا، وبالعكس، إذا نحن أردنا أن نعيد النظر في برامج التعليم من جديد، فلي اليقين أننا سنخلق جيلا ينفع وينتفع، هذا من ناحية التعليم.

أما من الناحية الثانية من حيث الأهمية فهي ناحية الفلاحة، فكما تعلم من توجيهاتنا — أيها الشعب العزيز — كنا قررنا أن نقوم بالاصلاح الزراعي، ويشتمل على أراضي الاستعمار المسترجعة بجميع أنواعها، كما يشتمل على أراضي الجيش والجماعات والأحباس، إلى غير ذلك، ولكن هذا الاصلاح الزراعي الذي يضم هذه المجموعة كلها سوف يتطلب وقتا كبيرا من الزمن، ولا يمكن أن ينفذ في سنة أو سنة ونصف.

وهذا معناه أننا سننتظر عدة سنوات لكي نقوم بالاصلاح الزراعي، وهذا تطويل لا نرضاه ؛ ولهذا قررنا أن نبدأ في الموسم القادم إن شاء الله، في شتنبر أو أكتوبر، فنبدأ باستعمال أراضي الاستعمار التي استرجعناها، ولن تضع لنا أي مشكل، فهي محفظة معروفة من ناحية الحاجة، معروفة من ناحية الدخل، معروفة من ناحية التربة والري، بحيث أن من السهل علينا أن نكون وحدات الانتاج ونوزعها على الفلاحين، مما يمكنهم من الحصول على دخل سنوي يتراوح بين 300 و400 ألف فرنك، إنني أقول لجميع الفلاحين إنني لن أنتظر السنوات، ولكن بعد ثلاثة شهور سوف نشرع في هذا الاصلاح الزراعي الذي سوف يشمل طبقة لا يستهان بها من الفلاحين، كما أننا مقبلون في الميدان الفلاحي على ثورات مهمة من ناحية تسيير الضيعات التي أخذناها من المعمرين، ولكن كل إصلاح زراعي يتطلب الأدوات اللازمة لتنفيذه، ومن أهم أدوات الاصلاح الزراعي للنهوض بالفلاحة : القرض الفلاحي.

حقيقة إن القرض الفلاحي على شكله الحالي سليم مما يستوجب النقد والملاحظة من ناحية الشكل، إذ نستطيع أن نقول إن القرض الفلاحي في المغرب يمكن تطبيقه على أكبر دولة تقدمية في العالم، ولكن نظرا للمسطرة الطويلة التي يسير عليها، فإنه لا يستفيد منه أي أحد لأن مسطرته متشعبة وكل فلاح حاول أن يستفيد منه مطلوب منه أن ينتظر عدة شهور للحصول على القرض اللازم، وربما لن تصله البذور في ابانها، والأهم من هذا كله أن صغار الفلاحين الذين هم في مقدمة المحتاجين للقرض الفلاحي ليس لهم حق فيه، بل يقترضون من جهات أخرى.

لهذا قررنا ـــ وقد ضربت للمكلفين بإنجاز ذلك أجلا يظهر أنه سيتم بعد ثمانية أيام ـــ تحوير مؤسسة القرض الفلاحي تحويراً يسهل المسطرة حتى يصبح هذا القرض فيما يخص المال والبذور في متناول الفلاحين الصغار والكبار والمتوسطين ؛ وبعد هذا الأجل سوف أضع خاتمي الشريف على المشروع الجديد الذي ينظم القرض الفلاحي ؛ ولي اليقين أن نتائجه سوف تظهر في الحين، هذا من الناحية الفلاحية. بقيت الآن الناحية الاقتصادية.

أما من الناحية الاقتصادية بصفة عامة فنلاحظ عدة مشاكل لن أستعرضها كلها أمامك، أيها الشعب العزيز، ولكن قررت مباشرة المشكل الذي يهمك أكثر من كل المشاكل، وهو مشكل الأثمان والأسعار.

لاحظنا أنه لكون المغرب مستقلا بالفعل سياسيا واقتصاديا، ونظرا لكوننا لا نمد يدنا للأجنبي، ونظرا لكوننا متحررين عسكريا وسياسيا، نحاول أن نسير بلادنا بوسائلنا، ولكن وسائلنا مع الأسف ضعيفة، الشيء الذي ترتب عنه أن عدة أجور لم ترتفع، وأعرف أن الأثمان ارتفعت جدا ولكن عددا من الأجور بقيت مجمدة، منها أجور الموظفين وأجور العملة، فوقع اختلال في التوازن بين المدخول والمصروف العائلي، فقررت أن أشهر حربا عشواء على ارتفاع الأثمان، وهذه الحرب سوف تتطلب مصابرة ومثابرة، وهي من جملة المنجزات التي لا تتم في يوم واحد، فعندما تقرر نوع الأثمان التي لا يمكن أن ترتفع، والأثمان التي يجب أن تنخفض، إذ ذاك، يجب أن نراقب الأثمان التي لا يمكن أن ترتفع، ونراقب الأشخاص الذين يحاولون الغش، فيجب علينا جميعا، أيها الشعب، من حكومة ومن جهاز إداري ومنك أيها الشعب أنت الذي تتضرر من أولئك الأشخاص، أن نكون على حذر وأن نقوم جميعا بتلك الحرب، تلك الحرب التي أردت أن أشنها في المواد الغذائية وفي الملابس والسجاير والأدوية، لأنه بلغني ـــ وهذا شيء محقق ـــ أن الأدوية يقع فيها الربح الذي يتراوح بين 60 و70 في المائة، والأدوية قد دخلت البيوت المغربية فغير معقول انه إذا كان الشخص الذي يشتري الدواء من مصلحة تابعة للدولة بـ 20 فرنكا إذا قصد الصيدلي اشترى منه نفس الدواء بـ 120 فرنكا أو 130 فرنكا. كلنا آباء

أبناء، وجميعنا يتعرض أولاده للمرض، وكلنا محتاجون إلى الدواء، ولكن ليس من المعقول كذلك أن يربح عدد قليل من الأشخاص على حساب المغربي والمستهلك العادي ما يزيد على 70 في المائة من الربح. هناك مواد لا يمكن أن ترتفع، كمواد الاستهلاك الغذائي، وهناك مواد يجب أن تنتج في المغرب من ملابس مثلا، فلابد من اللباس الشعبي ولابد من الحذاء الشعبي ولابد من القميص الشعبي ولابد من السجاير الشعبية التي توجد في كل بيت وفي متناول كل أسرة، هذه الحرب، حرب الأثمان والاستهلاك والانتاج تتطلب منا بعد إشهارها أن نتجند لها كلنا ملكا وشعبا وجهازا إداريا لمدة شهور وسنوات.

وفي هذا السبيل سنعقد مجلسا وزاريا يوم الثلاثاء القادم إن شاء الله حول المسائل التي يجب تطبيقها للوصول إلى عدم رفع الأثمان، وبمجرد انتهاء المجلس الوزاري سيصدر بلاغ إذ ذاك من وزارة الأنباء نشرح فيه الخطة التي قررناها.

وفي المضمار الاقتصادي أعطينا أوامرنا لوزير التجارة والصناعة ليتجول في مدن المغرب وبالأخص الدار البيضاء حتى يطلعنا على مشاكلها التجارية والصناعية فنضمن سير المعامل وعدم إقفالها، ونبذل المجهود لتشارك رؤوس الأموال المغربية أكثر ما يمكن في الازدهار المغربي. وفي هذا الصدد، لا يمكن لأي أن يكون متقدما اقتصاديا إذا لم تتوفر لديه الآلات ورجال الاقتصاد، فلهذا قررنا أن نفتح مدرسة عليا للتجارة كما في فرنسا والدول الراقية، وسنفتح في أكتوبر كذلك مدرسة للايراد والتصدير، وسيساعد وجود هاتين المدرستين على تكوين التقنيين والفنيين في ميدان التجارة، لنبرهن على أن الذين يتاجرون عندنا مواطنون لهم إطلاع على التجارة ومشاكلها، لأن التجارة اليوم أصبحت فنا وتقنية.

أما من الناحية الادارية، فكما تعلم، أيها الشعب العزيز، أنه في كل سنة تعد كل وزارة ميزانيتها الخاصة، وهذه الميزانية تنقسم إلى قسمين :

القسم الأول — ميزانية التسيير وهي تنقسم إلى قسمين قسم يختص بالموظفين، وقسم لشراء المواد لتسيير الوزارات من مكاتب ومقاعد وأدوات للكتابة وما إلى ذلك.

القسم الثاني — ميزانية التجهيز، وبالطبع هي التي بها تجهز البلاد وتشيد وتبني.

لاحظنا أن هناك مئات الملايين تضيع كل سنة لأن كل وزارة أو إدارة أو مصلحة تشتري الآلة الكاتبة التي تريدها، أو توصي بـ 10 آلاف أو 20 ألف قلم رصاص، أو تطبع مطبوعاتها، أو تشتري المقاعد، في الوقت الذي تتوفر لديها، بحيث نصل إلى استهلاك لا معنى له ولا حد، نصل إلى النتيجة التالية : أن كل ما اشتريناه هذا العام نجد أنفسنا قد اشتريناه في العام الماضي، الشيء الذي يؤدي حقيقة إلى إسراف وإلى تفريط، وأعتبر شخصيا أننا لو قمنا بثورة في هذا المجال لتوفرت مئات الملايين التي تمكننا من النظر في حالة بعض الموظفين، أو على الأقل لننظر في بعض الأرقام الاستدلالية لأشخاص يتحملون مسؤوليات مهمة، لهذا قررنا أن تتجه الادارات على النحو الذي وقع في الجيش الملكي. فالجيش الملكي له مصلحة خاصة تسهر على الشراء والتوزيع، فقد ضربنا أجلا للجنة التي كوناها بأن تقدم يوم 26 يونيه الجاري جوابا لنكون في السنة المقبلة مركزا للشراء والتوزيع، ولي اليقين أنه بهذه الكيفية سنشاهد أولا اقتصادا مهما، وأكثر من هذا سنكون قد عودنا أنفسنا على مسايرة الركب لنسير على قدر إمكانياتنا.

المغرب غني، ولايزال المغاربة فيه فقراء، فلا ينبغي أن يكون رجل الشارع في مستوى وتكون أجهزة الدولة في مستوى آخر، لا بد أن يسير كل على قدر إمكانياته. فالحكام الذين لا يسيرون على قدر إمكانيات شعوبهم حكام ليسوا بعقلاء، والوزارات التي لا تسير على قدر إمكانيات الشعب هي وزارات لا تدرك المشاكل الحقيقية للشعب.

هذه — شعبي العزيز — بإيجاز، بعض القرارات التي اتخذت في ظرف عشرة أيام، ربما يكون تعدادها قصيرا، ربما يمكن أن تعتبر دون ذلك لأنه لا حد للكمال ولا نهاية للفضيلة، وفعلا يمكن للانسان في عشرة أيام أن يفعل أكثر من هذا، ولكن والله شاهد علينا جميعا شعبا ووزراء وموظفين وملكا على أنه نظرا لتراكم الأشغال، ونظرا لتراكم الملفات، ونظرا للانحلال الذي وجدناه ليس بممكن أن نفعل أكثر من هذا في عشرة أيام، وكلما أويت إلى فراشي أتساءل هل كان في مستطاعي أن أعمل أكثر، وكن على يقين أيها الشعب، أنني، أكثر من الماضي، لم أبخل عليك بدقيقة أو ساعة من ساعاتي، ولكن، أكثر من الماضي، أعتبر شخصيا أنه أصبحت الآن لا دار لي إلا أنت، ولا منزل لي إلا أنت، ولا مشكل لي إلا مشاكلك، وأطلب الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا ويعيننا، وأننا لو تابعنا سيرنا في هذه الخطة، وبقيت أتمتع بثقتك، وبقيت أنت متمتعا بمحبتي، فلي اليقين أننا سنتغلب على جميع الصعاب لأنه إذا كانت الروح الطاهرة فلا بد أن تكون النتائج في مستواها ؛ والله المعين.

والسلام عليكم ورحمة الله.

ارتجل بالرباط أمام الاذاعة والتلفزة

الخميس 17 صفر 1385 — 17 يونيه 1965